مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

العقل بين عبد الغني العمري الحسني وطه عبد الرحمن

The Mind Between Abdul-Ghani Al-Omari Al-Hasani and Taha Abdul-Rahman

عباز رميساء Abbaz Roumaissa * roumaissa.abbaz@univ-constantine2.dz	الفلسفة الإسلامية المعاصرة	جامعة قسنطينة2-عبد الحميد مهري/الجزائر. مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية/ قسنطينة2
أد. خميسي ساعد Pr.Khemici Saad khemici.saad@univ-constantine2.dz	فلسفة	جامعة قسنطينة2-عبد الحميد مهري/الجزائر

ORCID: / DOI : 10.46315/1714-013-002-008

الإرسال:2024/01/30 **القبول**:2024/04/17 **النشر**:2024/06/16

**

الملخص:

ذهب البعض إلى أن العقلانية الغربية سيطرت على عقول المسلمين اليوم، وأصبحت تعتبر مشكلة تحتاج إلى نقاش، من أجل وضع آليات جديدة يمكن من خلالها إحياء الأمة العربية الإسلامية التي فقدت هويتها في انسياقها وراء المادية الغربية التي ألغت البعد الروحي وسيدت العقل المجرد كمبدأ أساسي للتقدم.

الكلمات المفتاحية: العقل، العقل المجرد، الدين، الحداثة، النقد.

Summary

Some have argued that Western rationalism has taken control of the minds of Muslims today. It has become considered a problem that needs discussion, in order to develop new mechanisms through which the Arab Islamic nation can be revived, which has lost its identity in its drift behind Western materialism, which has eliminated the spiritual dimension and prevailed over abstract reason as a basic principle for progress.

Keywords: mind, abstract mind, religion, modernity, criticism.

**

مقدمة:

تعددت الدراسات حول العقل العربي، سعيا في طرح البديل الذي يخرجه من سياق التقليد للحداثة التي أعطت أهمية كبيرة للعقل الأوروبي من مختلف النواحي، معتقدة أنها تحرر الإنسان من التأخر وتفتح له مجال التقدم باعتماده العقل المجرد القائم على مبدأ السيادة في كل شيء. غير أن هذا الأخير لم يعد بالفائدة في رأي البعض على الأمة العربية والإسلامية، كونه دخيلا على ثقافتها، فخلق أزمة داخل هذه المجتمعات لم تستطع أن تواكب الحداثة أو البقاء على حالها، بل صارت في وضع يخرجها عن دينها ويجعلها أكثر تخلفا. لأن تبني المسلم المعاصر لهذا النوع من

*- الباحث المُرسل: roumaissa.abbaz@univ-constantine2.dz

العقلانية أبعدته كثيرا عن مبادئه، نتيجة انسياقه في تقليد لا يمثل هويته الإسلامية، مما خلق أزمة دينية وتخلف حضاري. لذا بات الأمر محل دراسة لدى العديد من المفكرين، خاصة في المغرب الأقصى من أجل إعادة التأسيس ووضع مبادئ يقوم عليها المسلمون تخرجهم من الضلال الذي وقعوا فيه من خلال توضيح الدور الأساسي للعقل وإعادة تأسيسه. لأن هذه الدراسات نتج عنها خلاف واضح بين نزعة مؤيدة للحداثة الغربية ونزعة تأصيلية، لكن كليهما يقدمان نقدا واضحا للعقل العربي ووضع آليات واعية أصيلة تتماشى مع واقع العربي الإسلامي ومع أهدافه. ومثل التيار الثاني كل من عبد الغني العمري الحسني وطه عبد الرحمان حيث عمل كلاهما على حل هذه الأزمة من خلال نسق يتماشى مع الدين ويواكب المعاصرة.

منه ما مفهوم العقل؟ وما تأثير العقل الغربي على الدين؟

كيف حاول كل من عبد الغني العمري وطه عبد الرحمن التأسيس لعقلانية إسلامية خاضعة لقيم الدين؟

غرضنا من هذا المقال مناقشة الدور الأساسي **للعقل** اتجاه **الدين**، مستندين على دراسات كل من عبد الغني الحسني العمري، وطه عبد الرحمن.

اعتمدنا في تحليل الإشكالية على المنهج التحليلي، من خلال تحليل اهم النصوص والمفاهيم، بالإضافة إلى المنهج المقارن، من أجل مقارنة بين طرح كل من العمري وطه والجابري.

2-مفهوم العقل:

العقل في اللغة: الحَجْر والنهي ضد الحمق والجمع عقول. وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، وقيل العقل هو التميز الذي يميز الإنسان من سائر الحيوان. (منظور، صفحة 232.233)

أما في الاصطلاح: فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته وجعله مناط التكليف، وعظم النبي صلى الله عليه وسلم العقل وقدس حرمته. ومجده الفلاسفة والحكماء والعلماء، فصرفوا جهودهم الى إعلاء شأنه والبحث فيه وساروا بمقتضاه، وجعلوه الدليل والقائد والحَكَم. (طوفان، 1998، صفحة 17) **وعرفه الرازي في قوله:" إنَّ الباري عَزَّاسمه إنما أعطانا العقل، وحبنا به لننال، ونبلغ به، من المنافع العاجلة والآجلة، غاية ما في جوهر مثلنا، أن يناله ويبلغه. و أنه أعظم نعم الله عندنا، و أنفع الأشياء لنا، وأجدادها علينا نفعا. فبالعقل فضلنا على الحيوان، وأدركنا جميع ما يرفعنا."** (الرازي، 1978، صفحة 35)

يعرف عبد الغني العمري العقل على أنه قوة إدراكية للإنسان تميزه عن باقي المخلوقات، **وفي هذا الصدد يقول:" القوة المدرِكة من الإنسان، به يدرك الأشياء ويميزها على تفاوت بين الأشخاص في هذه القوة: فمنهم عاقل ومنهم أعقل. والعقل على التحقيق هو: الإنسان وغيبه**

الذي نشهد أثره ولا نشهده، وهوالذي يكسب الإنسان صفته الإنسانية من بين باقي المخلوقات على الأرض، وهو المُخَاطَب والمكلَّف من الإنسان، والمتحَكِّم والموجِّه لسائر أعضاء هذا الانسان." (الحسني، مراتب العقل والدين، 2010، صفحة 10)وعليه فالعقل حسب مفهوم العمري يشترك فيه جميع الناس لكن بالدراجات فليسوا جميعا متساوين في القدرة الإدراكية له، غير أنه يميزهم عن سائر الكائنات الحية فبه يستطيع الانسان ان يميز بين الصواب والخطأ.

بينما عرفه طه الرحمن بقوله: "إنَّ العقل (جوهر) أي ذات قائمة بالإنسان يفارق بها الحيوان، ويستعد بها لقبول المعرفة... العقل هو فعل معلول لذات حقيقية. " (الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، 1997، صفحة 16) بمعنى أن العقل في مفهوم طه يُكْسِب الإنسان صفة الإنسانية تميزه عن باقي الكائنات الحية، ومن خلاله يستطيع إدراك ما حوله.

اما الجابري يفسر العقل على أنه أداة للتفكير يشترك فيها جميع الناس وفي قولنا العقل العربي هو ربط هذا العقل بالثقافة التي ينتمي اليها كقولنا العقل الأوربي. (الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي، 2009، صفحة 15) غير أن الجابري من الذين ينتصرون إلى العقل الحداثي والذي في رأي كل من العمري وطه عبد الرحمن له تأثير كبير على الحضارة الإسلامية.

3-العقل الحداثي وتأثيره على الدين:

الحداثة هي مفهوم عالمي نشأ في أوروبا، دعت الى العلمانية وحرية الانسان، كما تميزت بإعطائها أهمية كبرى للعقل، وفصله عن الدين، لذا في نظر التيار الأصولي أن اعتماده من طرف المسلمين يعود بتأثير السلبي على تدينهم، وإرساء الشك في نفوسهم خاصة أصحاب الإيمان الضعيف الذين يَخْضَعون لكل ما يروج لهم من أكاذيب، فتحوا لهم المجال لتسميم عقولهم بأفكارهم المادية التي تجعل من العقل المبدأ الأول لكل شيء.

أما الدين في نظر التيار العلماني مجرد حقبة تاريخية وضعها البشر انتهت مع انتهاء زمنها، لذا وجب تجاوزها واتباع ما يتماشى مع العصر الحالي، الذي يسيّد العقل كونه مصدر التطلع للمستقبل، وهو بدوره له سلطة تصحيح الدين وتوضيح كل ما يناسب الإنسان؛ لأن الدين بالنسبة لهم مُقَيِّدً لحرية الإنسان في حين العقل خلصه من هذا التقيد بإعطائه حريته. (الحسني، مراتب العقل والدين، 2010، صفحة 65)

حسب عبد الغني العمري كل هذا راجع الى غفلة المسلمين، الذين سارعوا في مواكبة العصر دون التطلع إلى الأسباب ودوافع الحقيقة التي يسعى اليها مروجو هذه الأفكار، التي تضرب الدين وتسعى للقضاء عليه، من خلال إبراز دور العقل، ومدى التطورات التي توصلوا إليها من خلاله، لذا وجب التطلع إلى هذه القضايا وإعادة النظر فيها وتصحيح المفهوم الخاطئ الذي سَيَّدَ العقل وَدَعَا إلى فصله عن الدين كونه مقيِّدا له نَظَرًا لوجود أحكام دينية تضع حدودا لكل أمر. فإن الدين

يدعو إلى إعمال العقل لكن في حدود ما يمليه الشرع وعدم تجاوز ذلك وإعماله فيما يعود بالضرر على الإنسانية. نلاحظ موقف العمري واضحا، وهو نفس الموقف ذهب إليه طه عبد الرحمن. لذا وجب إعادة النظر في مثل هذه الأفكار المسمومة بتوضيح حقيقة العقل ومدى ارتباطه بالدين وتوضيح دوره الصحيح للبشرية ورفع اللَّبْس عنه. قد قال الشيخ العمري:" **لابد للعقل كي يتبين سبيله، أن يعلم الحكمة من وجوده.**" (الحسني، مراتب العقل والدين، 2010، صفحة 95) بمعنى أن الإنسان إذا استطاع فهم الدور الأساسي للعقل تمكن من إعماله في الطريق الصحيح، وعدم الخروج عن المنهج الإسلامي، لأن المسلمين عندما صاروا يسيرون خلف العقل الغربي ابتعدوا عن المكانة التي كانت لهم فتقهقروا عقليا الى ما دُون العقل المُفَكِّر على الأقل. حتى أصبح مفكرُوهُمْ يرددون ما سبق للعقل الغربي أن خطه لهم، وكأن العَقْلَ الغربي قد صار رسولا من الله إليهم. (الحسني، 2018)

إنَّ الانتقادَ الموجَّهَ للعقل الغربي يقابله عند طه عبد الرحمن ضرورة الخوض في موضوعه حتى يكون موافقا للأخلاق الإسلامية (الرحمن، 2009، صفحة 60)؛ لأن الإنسان المعاصر اليوم متمَسِّك بالعقل الماديَّ، دون إدراك على أنه يقدم قليل النفع على كثيره، فتبنوا العقلانية المجردة على أنها تمثل العقلانية الإنسانية فوقعوا في الخطأ غير مدركين أنهم بهذا الفعل قد أنزلوا من قيمة الإنسان، حتى ساووه مع البهيمة في مثل هذه الدرجة من العقلانية؛ لأن المُخْدَئِين زعموا بأن الإنسان وحده يختص بهذا العقل لا يشاركه فيه غيره، غير أن الامر ليس بهذا التفسير بل العقلانية حسب طه على قسمين: عقلانية مجردة يشترك فيها الانسان مع الحيوان وهي التي تسيطر اليوم على الإنسان المعاصر فزادته سوءًا. اذ يقول:" **فخاصية هذه العقلانية، أنها تستأثر بالإنسان من دون الوحي، وبالتالي فهي تتنافى مع الرسالة الدينية والعقلانية بهذه الصورة تمت تسميتها بالعقلانية المجردة فتجريدها يتمثل في الاشتغال بالعقل الإنساني دون الاشتغال بالوحي الإلهي.**" (الرحمن، 2013، صفحة 97.98) والعقلانية المسددة بالأخلاق تخص الإنسان دون غيره، بها يستطيع الانسان الخروج من الوضع الذي يعيش فيه اليوم الذي أبعده عن واقعه الإسلامي (الرحمن، 2009، صفحة 14) اذ يقول:" **إن العقل درجات وأنَّ أبلغ الدرجات في العقلانية ما أخذ بالتجربة الإيمانية الحية.**" (الرحمن، 1997، صفحة 12) بمعنى ان طه عبد الرحمن يحاول أن يُقَوِّمَ العقلانية الغربية وفق الأخلاق الإسلامية. لذا يرى طه أن العقل الحداثي الغربي هو فكرة مجردة، قائم ضد الفطرة التي تحمل القيم الأخلاقية ذات الأصل الديني، مما جعلت من الإنسان المعاصر فَاقدًا لهذه القيم، بابتعاده عن الجانب الروحي وتمسكه بالجانب المادي. (الرحمن، 2017، صفحة 14) وفي الطرف الآخر يرى الجابري بضرورة نقد العقل الغربي ومراجعة آلياته ومبادئه وتصوراته حتى يكون موافقا للعقل الغربي، (الجابري، 2009، صفحة 4) فالذات العربية الراهنة تفتقد استقلالها، كونها تستمد فعاليتها من مرجعيتين متناقضتين كِلاَهما

لا يمكنهما النهوض بالعالم العربي من جديد فأولى تنتمي الى الماضي الإسلامي العربي، والثانية تنتمي الى الحاضر والمستقبل الأوروبي لذا اليوم نحن بحاجة الى انطلاقة فكرية عربية جديدة على أساس النقد من أجل النهوض بعقول جديدة. (الشيخ، 2011، صفحة 22) بمعنى انَّ كُلًا من العمري وطه عبد الرحمن والجابري يخوضان في قضية العقل كالمبدأ الأولي من أجل إعادة إحياء الأمة الإسلامية العربية من جديد، وذلك بتوضيح حقيقة العقل ودوره الأساسي باعتباره خاصية إنسانية مهمة لها دور فعال في بناء الفرد ثم صلاح الأمة ونهوضها، غير أن العمري وطه عبد الرحمن قد اختلفا عن الجابري في ربطهم العقل بالدين.

4-مراتب العقل بين الشيخ العمري وطه عبد الرحمن:

انتقد كل من العمري وطه عبد الرحمن العقلانية الغربية المادية التي سيطرت على العقل العربي الإسلامي في الفترة الحالية، وأبعدته عن مبادئه الدينية سعيا في ذلك إلى وضع عقلانية عربية إسلامية، يتم من خلالها إحياء المجتمعات العربية الإسلامية وفق ما يتماشى مع الشريعة الإسلامية؛ لأن العقلانية التي يتبناها الإنسان المسلم اليوم دخيلة على الحضارة العربية الإسلامية ولا يمكن تحقيق النهضة من خلالها. بالإضافة إلى وجوب إبراز دور العقل الذي ميز الله به الانسان اتجاه الدين. هذا ما دفع كل من العمري وطه عبد الرحمن إلى الدعوى إلى ضرورة إعادة النظر في دور العقل، من خلال تقديم دراسات جديدة توضح دوره الأساس، من أجل الخروج من الأزمة التي تلاحق الأمة الإسلامية والعربية اليوم. في هذا الصدد جعل الشيخ العمري العقل في مرتبتين بين عقل مجرد وعقل مُعْضَدٍ ملتزم بالدين، واعتبر العقلانية المُصَدَّرة الى شعوبنا ليست عقلانية حقا، وإنما فوضى عقلية تختفي خلف توظيف جزئي للعقل. (الحسني، 2018) لذا وجب إعادة العمل بالترتيب العقلي في مجتمعنا، فهو من أهم الشروط لحماية العقل من الضياع. (الحسني، 2018) وفي السياق نفسه أكد طه عبد الرحمن أنّ العقلانية ليست واحدة، وإنّما هناك عقلانيات كثيرة تختلف من حيث درجاتها ورتبها ومقاصدها، فهي مختلفة بحسب الدور الذي تؤديه، وبحسب الفاعلية الصادرة من العقل، (عيد، 2015، صفحة 35) وجعل العقل في ثلاث صور: صورة العقل المجرد، والعقل المسدَّد، أمّا الصّورة الثالثة فيسميها بالعقل المؤيد، وهي تمثّل لنا مراتب العقل عند طه عبد الرحمن. (النقاري، 2016، صفحة 95)

إذن كل من العمري وطه عبد الرحمن قد أسسوا للعقل وفق مراتب محددة وهي تتقابل بينهما بين العقل المجرد والمُعَضَد عند العمري. والعقل المجرد والمسدَّد والمؤَيد عند طه عبد الرحمن.

4-1-العقل المجرد:

هي أولى مراتب العقل عند عبد الغني العمري، وهي المرتبة التي يطرح فيها عقل الإنسان تساؤلات كثيرة، كونه ليس مُدْركا لما حوله فيسعى إلى فهم ذلك. وعليه يرى الشيخ العمري أن

الإنسان في هذه المرحلة يلقى بين الأرض وسماء مع تعاقب الليل والنهار وسط مخلوقات تتشابه معه من ناحية وتختلف معه من ناحية أخرى تضعه محل حيرة تدفعه إلى تساؤل عن معنى وجوده وعن كيفية وجوده ومدى علاقته بهذه الكائنات هل هو خاضع لها أم هي خاضعة له أم هناك وقائع أخرى لم يصل إلى ادراكها بعد؟ فصار انساناً يتوق الى إجاد حلول لهذه العلامات المجهولة له. مستعملا قواه الحسية، والعقلية مرتبا لأفكاره، ومعلوماته التي تسمح له في كل مرة بتطور إدراكه شيئا فشيئا. (الحسني، 2010، صفحة 19) إلا أن أكثر شيء يسعى إليه الإنسان هو المحافظة على البقاء، مع مواصلة تطور إدراكه بمرور الزمن، لتتولد لديه خاصيات عقلية بسيطة تتمثل في (الحسني، 2010، صفحة 21.37):

.قدرته على خزن المعلومات.

.قدرته على تذكر المعلومات المخزونة عند الحاجة.

. تجريد المدركات الحسية من صورها والعبور إلى معانيها: مثلا كالعبور من صورة اليل والظلام إلى معنى النوم والراحة.

. ربط المعنى الموجود بالعقل بصوره المحسوسة أي وقت النوم والراحة مرتبط بصورة الليل والظلام.

. التخيل: هو ربط صور موجودة في الواقع وإعادة ترتيبها في العقل على هيئة مخالفة لصورة المألوفة.

كل هذه الخاصيات العقلية الموجودة في العقل المجرد تسمح له بإدراك معلومات ثابتة بالنسبة له لا تحتاج إلى برهنة كإدراكه لوجوده وإدراك أن هناك من أوجده. أي هو في مرتبة الإنسان الحيواني الذي هو إنسان بالصورة فقط، لا بالحقيقة. بمعنى أن الإنسان في هذه المرتبة من العقل كل ما يستطيع معرفته هو وجوده وإدراك حقيقة أن وجوده جاء من خلال قوة أكثر منه هي التي أوجدته وهذا يحقق له «**مرحلة العلم بوجود الإله لا العلم به** " (الحسني، 2010، صفحة 28) أي أنه لا زال لم يتعرف بعد على حقيقة الإله ومدى ارتباطه به ووجابته اتجاه خالقه.

بينما طه عبد الرحمن يرى بأن العقلانية المجردة هي عبارة عن خاصية الفعل الإنساني الذي يسعي إلى تحقيق مقاصد لا يقين في نفعها بوسائل لا يقين في نجوعها، كما أنها تُقْصي المعاني الروحية وتكتفي بالظواهر الخارجية واعتمادها للوسائط المادية وحدها، (الرحمن، 2009، صفحة 75) ويعرفه طه عبد الرحمن بقوله: **"يعتبر العقل مجرد فاعلية وليس ذات قائمة بنفسها أو جوهرا مستقلا، والمقصود من ذلك أنّ العقل لا يقيم على حال و إنّما يتجدد على الدوام ويتقلب بغير انقطاع."**(عيد، 2015، صفحة 30). بمعنى أن هذه المرتبة لدى طه عبد الرحمن هي بداية تشكل العقل في صورته الأولى قبل أن يتطور إلى مراتب أخرى أكثر إدراكا، لأن في نظره العقل أنَّ المجرد هنا في أدنى مراتبه، وهو عبارة عن الفعل الذي يطلع به صاحبه على وجه

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

من وجوه شيء، معتقدا في صدق هذا الفعل ومعتمدا في هذا التصديق على دليل معين. (الرحمن، 1997، صفحة 17) وعليه هناك اتفاق بين كل من العمري وطه عبد الرحمن في هذه المرتبة من العقل.

2-4 العقل المعضَّد:

تكلم الشيخ العمري عن العقل المعضَّد من خلال إدراجه عبر مراحل يمر بها إلى أن يصل الى أعلى مراتب العقل التي يمكن أن يتوصل اليها الإنسان، ونفس الامر قام به طه عبد الرحمن من خلال حديثه عن العقل الذي وضعه أيضا عبر مراحل يمر بها العقل الإنساني إلى ان يصل إلى أرقي درجة من الكمال. وحسب العمري الإنسان في مرتبة العقل المجرد يكون مدركا أن وجوده له موجدْ، وأن وجوده هذا قائم على وجود إله لازال لا يعلم حقيقته هو غامض بالنسبة له، ويوضح الشيخ العمري هذه المرحلة بالفطرة التي يولد عليها كل الناس مشتركين فيها ومن بعدها كل إنسان يختار الطريق الذي يسير فيه مستندا في ذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، او ينصرانه، او يمجسانه."** (عن أبي هريرة، أخرجه البخاري في صحيحه) الإنسان هنا يستخدم عقله في معرفة الصواب، اذ يرجع العقل إلى نفسه، يمحص ويتحرى عن الحقيقة، حتى يتمكن له الخروج من المرحلة التي يشبه فيها بالبهيمة. وهنا يتفق معه طه عبد الرحمن الذي يجعل وظيفة العقل في هذه المرحلة تنحصر في البحث عن أمور بسيطة وانتقاله إلى مرحلة الإنسانية. لأنه هنا يرتقي بالعقل من مرتبة العقل المجرد إلى المعضَّد، فيصبح الإنسان متميزا عن البهيمة التي تشترك معه في المرتبة الأولى. من هنا يتضح لنا أن العقل المعضَّد بدوره يمر بثلاث مراتب حتى يتسنى له الوصول إلى أرقي درجات من الدين حسب مفهوم الشيخ العمري، وعليه فإن أول المراتب التي يمر بها العقل السليم في دينه هي الإسلام.

أ: العقل في مرتبة الإسلام:

يرى العمري أن الإسلام هو عبارة عن جميع الرسائل التي حملها الرسل من أولهم حتى بلغ كماله مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعليه الإسلام هو دين جميع الرسل وأتباعهم، وما هذا التدرج في الدين إلا بسبب تباين قدرات الناس في الاستيعاب. فكان يبعث الله لهم بما يناسب قدراتهم الإدراكية عبر مراحل حتى بلغ هذا الدين كماله مع الرسالة المحمدية التي جاءت بالإسلام الكامل الذي لا وجود لرسالة بعده. (الحسني، 2010، صفحة 39) **مصداقا لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (سورة المائدة، الآية 03) ومن هنا فإن العقل في هذه المرحلة مطالب بدخول في الإسلام، والإقرار بوجود الله وحده لا شريك له واتباع ما نصت عليه الرسالة المحمدية، حيث قال العمري: **" وإسلام العقل هو انقياده لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما يعلم وفيما لا يعلم، في منشطه ومكرهه. هذا الانقياد يُورِثُ**

القلب حال التوبة إلى الله." (الحسني، 2010، صفحة 39) وعليه فإن الدور الأساسي للعقل هو السير عبر هذه المراتب من أجل تحقيق الدين الكامل. على عكس ما دعت اليه الحداثة المادية التي جعلت منه محور لخدمة المصالح الإنسانية بعيدا عن الدين، وذلك بداية من الخروج من مرتبة العقل المجرد الذي لا يدرك حقيقة الأشياء، والانتقال إلى مرتبة الإسلام التي يؤمن فيها العقل بإدراكه لما حوله بعد أن أمده الله بنور الإسلام ، لكن إدراكه هذا يبقى محدودا بين الرفض والقبول بين الاتباع والعزوف؛ لأن الإنسان في هذه المرحلة لم يخرج كليا من مرتبة التجرد فتبقى لديه بعض الشكوك التي قد تجعله يحيد عن الصواب. يقول العمري:**" إن الدين بطبيعته غيب وشهادة، فشهادة ما يعلم منه على وجه الإحاطة كالعلم بإقامة الصلاة وشروطها وأركانها مثلا. والغيب هو ما لا يحاط به كتأثير الصلاة في نفس الإنسان."** (الحسني، 2010، صفحة 44) فالعقل في هذه المرحلة يكون إدراكه محدودا للشروط والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام، كشهادة أن لا اله الا لله وأن محمد رسول الله، والصلاة والزكاة والصوم والحج، دون معرفة القيمة الحقيقة للصوم مثلا والآثار المترتبة عنه في توطيد علاقته بخالقه، لذلك فإن الإنسان في هذه المرتبة يصوم فقط من أجل الصوم، أو يصلي من أجل الصلاة في اعتقاده أنه أدى ما عليه من واجب اتجاه خالقه ليؤجر عليه، كونه لازال في مرحلة الظلام والإيمان السطحي الذي قد يدفعه إلى العزوف عن الفعل كترك الصلاة مثلا؛ لأنه لازال لم يصل إلى المرتبة التي تربطه بخالقه وتمكنه من إدراك المعنى الحقيقي لفعل الصلاة أو الصوم، وغير ذلك من مبادئ الدين الإسلامي. ومنه فإن العقل في هذه المرتبة مرتبط بالماديات وهو ما عبر عنه بالتعين في انتظار أن يتحصل على النور الذي يعرفه على هذه المسائل لذلك يقول العمري:" **العقل هو نفس، ذلك لغلبة شهود التعين، على شهود نور الوجود."** (الحسني، 2010، صفحة 42) في هذه المرحلة من العقل المعضَّد عند الشيخ العمري تتوافق مع المرتبة الثانية عند طه عبد الرحمن المتمثلة في العقل المسدد اذ عرفه بقوله:**"إن العقل المسدد عبارة عن الفعل الذي يبتغي به صاحبه جلب منفعة اودفع مضرة، متوسلا في ذلك بإقامة الأعمال التي فرضها الشرع."** (الرحمن، 1997، صفحة 58) بمعنى أن العقل المسدد من خلاله، يتوجه الإنسان إلى طلب المقاصد الحقة التي نصبها الدين، والتي تعود بالفائدة والنفع عن الإنسان وتدفع الضرر عنه، ومن خلال هذا العقل يستطيع الإنسان، تجاوز العقلانية المجردّة والخروج عنها باتباعه للقيّم العملية والتخلق بأخلاق الدين. وقد عرف طه العقلانيّة المسددة بشكل خاص: **"على أنّها عبّارة عن خاصية الفعل الإنساني الذي يقوم في السعي إلى تحقيق مقاصد نافعة، بوسائل لا يقين في نجوعها".** (الرحمن، 2009، صفحة 75) كما يرى طه عبد الرحمن أن العقل المسدد في قيامه بهذه الأعمال يتصف بثلاثة أوصاف يجب الوقوف عليها لتجاوز مشكلة حدود العقل المجرد وتتمثل في:

مو افقة الشرع: لا يمكن أن يكون الفعل مسددا مالم يكن موافقا للشرع، فلا وجود لفعل إنساني يقوم به إلا وهناك ما ينص عليه الشرع من توجيهات تبين له الصواب من الخطأ فيكون مدركا لمنافع هذا الفعل قبل أن يُقْبِل عليه، يقول طه عبد الرحمن: **"والحق كل الحق أن المرء لو أتى من العمل ما أتى، ودرّهذا العمل عليه أو على غيره من المنافع المزعومة ما درّ، فلاثقة بهذا العمل، ولا عبرة بمنافعه حتى ينظر كيف هو عند أمر الله ونهيه، وحفظ أحكام الشرع الإسلامي."** (الرحمن، 1997، صفحة 59)

اجتلاب المنفعة: تقوم على مختلف المعاني والأحكام التي نص عليها الشرع، والتي لا يمكن تحصيلها الا باتباع المبادئ التي جاء بها النص الديني مثل: الصوم، والصلاة الزكاة وغيرها من الأعمال الصالحة، فيكون شخصا مُدْرِكا لما يلحقه من منافع إذا اتبع هذه المبادئ اولهم رضى الله، حيث يقول:**" إن المنفعة الناتجة عن العمل الشرعي غير المنفعة الحاصلة بطريق العمل غير الشرعي، فهذه الأخيرة و اقعة لا محالة في النقائص ولو تحرى فيها المرء ما تحرى، و اتخذ من المثل غير الشرعية ما اتخذ."** (الرحمن، 1997، صفحة 60)

الدخول في الاشتغال: بمعنى القيام بالعمل بحسب الحكمة منه ووفق مبادئه الشرعية ليكون عملا صالحا في النهاية، فالاشتغال هو الخروج من والصف النظري إلى وصف العمل، وقد اكتسى مكانة متميزة حتى أصبح المعيار الذي يفرغ إليه في كل شيء، وأطلقت عليه أسماء مختلفة مثل: العمل الشغل، التشريف، التشخيص، التصحيح، التأصيل. (الرحمن، 1997، صفحة 61)

يظهر مما تقدم أن سواء كان العقل المعضَّد في مرتبة الإيمان عند العمري، أو العقل المسدّد عند طه عبد الرحمن، ما هو إلا عقل مجرد قد عرف طريق الصواب، بعد أن أدرك المبادئ الشرعية التي نص عليها الدين الإسلامي، وبدأ في العمل على اتباعها حتى يتحقق بمرتبة الأولى من الإسلام من خلال إدراك وجود الله والإيمان به واتباع ما يمليه عليه الشرع بهدف تحقيق منفعته، وهي نيل رضى الله، إلا إن إسلامه يبقى ناقصا كونه لازال لم يصل إلى مرحلة كبح الشهوات النفسية.

ب: العقل في مرتبة الإيمان:

المرحلة الأولى التي مّرى بها العقل هي مرتبة الإسلام، وهي التي النفس فيها لم تخرج كليا من مرتبة العقل المجرد. كونها ضعيفة أمام الرغبات، حتى وإن كانت عارفة بصوابها إلا أنها قد تحيد عن أصلها أمام أهوائها وذلك استنادا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ (سورة يوسف، الآية 53) وعليه فإن إعمالها لفكرها في الأمور الدينية قد يقابله خروجها عن حدود الانقياد للوحي، أي أنها غير ثابتة في معتقداتها. (الحسني، 2010، صفحة 43) والى نفس الرأي يذهب طه عبد الرحمن في هذه المرحلة من العقل بقوله:**" إن العقل المسدد هو العقل المجرد وقد دخله العمل**

الشرعي، أي رفع عنه استقلاله كما قيل، وإنما استقلاله لأنه كان تاركا لأمر الله ونهيه." (الرحمن، 1997، صفحة 67) بمعنى أن العقل في هذه المرتبة حسب طه بدأ في ترك استقلاليته بعد إدراكه لبعض الأمور الشرعية التي تمنعه عن فعل عدة أمور كانت مباحة له في العقل المجرد، خاصة بعد إدراكه لوجود الله عز وجل الذي يأمره باتباع الصواب وَيَنْهَاه عن الخطأ. وبعد هذه المرتبة تأتي المرحلة الثانية التي يمر بها العقل هي مرتبة الإيمان، وفيها يؤمن الإنسان بقلبه جاهدا في التقرب إلى خالقه، يقول العمري معبرا عن هذه المرحلة: **" فإن هذه المرتبة مرتبة القلب، كما أن مرتبة الإيمان هي قلب الدين. فهي بين إسلام وإحسان، بل هي عينهما لكن باعتبارين مختلفين."** (الحسني، 2010، صفحة 48) يرى العمري أن هذه المرتبة هي جزء أساسي في مراتب التدين، لذلك سماها قلب الدين؛ لأن فيها يكون المؤمن مُدْرِكا لحقيقة وجوده، وحقيقة من أوجده فيلتزم بمبادئ الشريعة الإسلامية، ويسعى إلى التحقق بها بغية نيل رضى الله عز وجل. فيكون إيمانه لله وحده لا شريك له دون أن ينتظر منه مُجَازات على فعله. الإيمان يختلف عن الإسلام من حيث الدرجات فالمسلم يبقى إسلامه سطحيا كما وضّحنا فيما سلف، بينما ارتقى المؤمن في درجات إيمانه من إنسان يعبد الله بنفسه إلى إنسان يعبد الله بوجدانه، في هذه المرحلة تزداد النفس حبا وتعلقا بالله، فأصبحت تؤمن من أجل نيل رضى خالقها والتقرب منه أكثر فأكثر لقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ (سورة الحجرات، الآية 14) يعمل العقل في هذه المرتبة على السير وفق المبادئ الشرعية رغبة **وحبا** في ذلك؛ لأنه آمن **بقلبه** فتعلق بربه، فانجذبت جوارحه الى خالقه **متوكلة** عليه في كل شيء بعد أن كانت تعتمد على نفسها فيما سبق من المراتب، لتختار ما هو أنسب لها والبعد عن كل أمر يبعدها عن خالقها، أي تَحْرِم نفسها من أهوائها وذلك عن طريق **الصبر** لأن الإنسان كلما حَرَمَ نفسه من رغباته التي تسيئ الى ربه كلما زاده الله أجرا وزاده تقربا منه. (الحسني، 2010، صفحة 50.52) فيصل الإنسان في هذه المرحلة إلى الاطمئنان بعد إن كان في مرتبة العقل المجرد تائها متسائلا عن أحواله، وكان مترددا في إسلامه بين تحقيق مصالحه أو اتباع ما نصت عليه مبادئ شريعة الإسلامية. في حين لما يبلغ مرتبة الإيمان يسلم العقل بهذه المبادئ الإلهية، فينفتح وجدانه عليها ليصل إلى مرحلة الاطمئنان لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب**﴾ (سورة الرعد، الآية 28) فالإنسان الذي بلغ مرتبة الإيمان فذكر ربه دون أن تكون له هواجس الشك أو الميول لرغبات متيقنا من حقيقة الطريق الذي سلكه لقد بلغ مرحلة الطمأنينة، حيث امتلأ قلبه بنور الله، ولم يَبْقَ في قلبه غير الله، وكل هذا عائد إلى مدى إدراكه بعقله لكل هذه الحقائق الإلهية بعد أن القاها وكشفها له الله في قلبه فلاقت القبول منه. (الحسني، 2010، صفحة 56) واستدل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **" ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ**

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وبِالْإِسْلاَمِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً." (عن عباس بن عبد المطلب، صحيح مسلم) عند تحقق مرتبة الإيمان لدى الإنسان أو إيمان العقل تتحقق لديه صفات الأخلاق مثل القناعة والصبر، وحب الخير وأرقاها الحياء...، فإنْ بلغ الإنسان هذا الخُلُقَ أصبح مستقيما في كل شيء، لأنه إن عمل عملا نظر له من باب الحياء والاحترام لا من باب الواجب او إلزام فمثلا في الصلاة أو الصوم والزكاة كما ذكرنا في مرتبة إسلام العقل قد يؤديها الإنسان على أنها واجب فقط، مما قد يؤدي به الأمر إلى تركها. أما في مرتبة إيمان العقل، فالإنسان يصلى خشوعا لخالقه احتراما وحياء منه دون أن ينتظر منه مقابلا يصلي حبا لخالقه، ويزكي ويصوم سعيا في التقرب منه دون أن ينتظر منه مجازات على أداء فرائضه. (الحسني، 2010، صفحة 57) إذن في هذه المرحلة من العقل المعضد يكون المؤمن قد حقق إيمانه لله وحده لا شريك له، لتكون كل أفعاله لخالقه لنيل رضاه بغية بلوغ درجات الكمال التي يشرق فيه قلبه بنور الله تعالى.

ج: العقل في مرتبة الإحسان:

يبلغ العقل في هذه المرتبة أرق الدرجات في علاقته بخالقه بعد أن أشرق نوره وأتقن إيمانه وخلصه من كل الشوائب التي تثير الشك، فتعلقت روحه بخالقها التي لا تنظر إلا لله وتعبده كأنها تراه مرافقا لها في كل أحوالها وعباداتها (الحسني، 2010، صفحة 62) لقوله صلى الله عليه وسلم: **".. وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّو افل حتى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها."** (عن أبي هريرة، أخرجه البخاري) يقول الشيخ العمري معبرا عن هذه المرتبة: **" وفي هذه المرتبة انتفت عن العقل ظلمته الأصلية بطلوع شمس نوره الوجودية.** " (الحسني، 2010، صفحة 62) فالإنسان بعد إدراكه لحقيقة الدين يعمل على التقرب من خالقه خلال عبادته له عبر أدائه لمختلف الفرائض التي نصت عليها الشريعة الإسلامية. ليصبح محبوبا عند خالقه، وإن أحب الله عبده، زاده إيمانا وسكينة لروحه، وكان له مرافقا له في كل منحى حياته.

أما طه عبد الرحمن فإنه يقابل مرحلة الإيمان ومرحلة الإحسان في مرتبة العقل المعضد بما يطلق عليه بمرتبة العقل المؤيد حيث يقول:" **إن العقل المؤيد عبارة عن الفعل الذي يطلب به صاحبه معرفة أعيان الأشياء بطريق النزول في مر اتب الاشتغال الشرعي، مؤديا النو افل، زيادة على إقامة الفر ائض على الوجه الأكمل."** (الرحمن، 1997، صفحة 121) بمعنى أنّ الإنسان العاقل لا يكتفي بمعرفة المقاصد النافعة من الدين فقط، بل يسعى إلى البحث عن الوسائل تساعده على تحقيق هذه المقاصد التي اهتدى إليها، حيث يتجاوز العقلانيّة المسددة ويخرج عنها عن طريق الاجتهاد، من أجل تتميم معرفته بالمقاصد الدّينية، ولن يتحصل عنها إلا بالارتقاء إلى رتبة عليا من العقلانيّة وهي رتبة العقلانيّة المؤيدة (النقاري، 2016، صفحة 98)، **والتي**

يعرفها بقوله: " عبّارة عن خاصية الفعل الإنساني الذي يقوم في طلب تحقيق مقاصد نافعة، بوسائل ناجعة، ولا يتم هذا الجمع بين نفع المقاصد في ثباتها وشموليتها، وبين نجوع الوسائل في تغيرها وخصوصيتها إلا بدوام الاشتغال بالله والتغلغل فيه" (الرحمن، 2009، صفحة 75.76) ذلك أن الإنسان في هذه المرتبة بعد ان أدرك حقيقة الدين الإسلامي في عقل مسدد يسعى هنا إلى تحقيق الكمال الروحي من خلال الإخلاص الكلي لله تعالى بعيدا عن كل الماديات والمنافع الذاتية التي تطلبها نفس، بمعنى أن العقل المؤيد يتدارك الآفات الخُلُقية والعلمية التي تقع فيها الممارسة المسددة، من خلال طلب الكمال الروحي في العمل الشرعي وهي التصوف، فهو تجربة تمكن صاحبها من معرفة خالقه والتعلق به. (الرحمن، 1997، صفحة 121) كذلك العمري يرى بأن العقل في مرتبة الإحسان يمثل مرحلة صوفية عالية يجب أن يعتمد عليه من أجل العودة إلى الأصل الذي كان عليه لإعادة الاعتبار لطريق أصيل في التدين. (الحسني، 2018) إذن العقلانية المؤيدة هي تلقي الخطاب، إذ يدرك الإنسان أن الحق يخاطبه في كل شيء، ويستمر معه في كل الأمور؛ لأنه في حالة الاشتغال بالله فيذكره في كل الأمور وإن اشتغل بغير الله ينبغي أن يذكره بخالقه فلا يمكن أن يفعل الإنسان المسلم شيئا من دون أن يعقل أمر ربه فيه. (الرحمن، 2009، صفحة 74) إذن هنا يلتقي كل من العمري وطه عبد الرحمن في قولهما بالعقل في مرتبة الإحسان، والعقل المؤيد على أنهما كلاهما يمثلان العقل في مرتبة الإنسان الصوفي. ومن هنا ندرك حقيقة العقل الأساسية التي تكون في خدمة الدين وإدراك حقيقته، وليس كما أبرزته الحداثة الغربية التي سخرته في خدمة المصالح الإنسانية واتباع اهوائها.

لذا فإن العقل دون دين قاصر، والدين دون عقل باطل فكلاهما يكمل الآخر. (الحسني، 2010، صفحة 63) لأن الله عند تمييزه للإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل من أجل تسخيره في خدمة خالقه وعبادته وتمييز بين النور والظلام والصواب والخطأ ومع عدا هذا لن يستطيع العبد إثبات إنسانيته إن اتبع اهواءه، وبالتالي بقي في منزلة البهيمية التي تسعى لإشباع غرائزها، وهكذا هو حال الإنسان الذي يتبع غريزته فقط، ويجعل عقل في خدمة مصالحه المادية دون الروحية. (الحسني، 2010، صفحة 82.83)

إذن كل من الشيخ العمري وطه عبد الرحمن يؤسِّسان لعقلانية قائمة على مبادئ الدين الإسلامي؛ لأن كلا من العقل والدين مبدءان أساسيان في تحقيق نهضة إسلامية عربية أصيلة مخالفة للحداثة الغربية التي تلغي الهوية الإسلامية. وعلى ضوء هذا نجد كلا المفكرين قد أسسا لعقل إسلامي يتدرج فيه الإنسان من مرتبة إلى أخرى حتى يبلغ مرتبة الكمال العقلي المتمثل في إدراك حقيقة الله وغايته الأسمى من الوجود، ليكون هذا العقل خادم للدين لا متناقضا معه كما هو في تصور الغربي.

في مقابل هذا الرأي المشترك بين العمري وطه عبد الرحمن اتجه الجابري إلى تحليل العقل من خلال اعتماده لتمييز المشهور الذي أقامه لا لاند حيث فرّق بين العقل المكوّن الفاعل والعقل المكوّن السائد، فالأول يقصد به النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حين البحث والدراسة، والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ، أما الثاني فهو مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالاتنا. وعليه فإن الجابري يجعل من العقل المكوّن الفاعل هو جملة المبادئ التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة، وهذا يجعل من العقل في هذه المرتبة خاصية تميز الإنسان عن الحيوان كونه له قدرة التعرف وإدراك هذا العالم الذي وجد فيه. (الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي، 2009، صفحة 15) وبهذا الاعتبار يمكن الاشارة إلى أن العقل بهذا المعنى يشترك فيه جميع الناس في أي زمان ومكان؛ لأنه عبارة عن نظام معرفي يحتوي على مفاهيم وتصورات أولية.

إن العقل العربي الذي تحدث عنه الجابري وإقام دراسته التحليلية والنقدية عليه هو ذلك العقل الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية، فكل إنسان يشترك مع غيره في هذه الخاصية. (الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي، 2009، صفحة 70) إذن يشَارِك الجابري في هذا الطرح للعقل المجرد كل من الشيخ العمري وطه عبد الرحمن في أفعاله الخلقية فقط.

يري الجابري بأن الذات العربية الإسلامية الراهنة تسعى إلى إثبات فعاليتها من خلال منهجين مختلفين ومتناقضين، يتمثلان في الماضي العربي الإسلامي والحاضر الأوروبي، مما أدى الى فقدان استقلاليتها، خاصة بتقليدها لمرجعيتين كلاهما لا يعبران عن الذات العربية الإسلامية اليوم. لذا يرى أن السبيل إلى إثبات هويتها هو التخلص من النموذجين معا، الأوروبي بشكل تام والتراث العربي من خلال تحقيقه وإعادة بنائه بالشكل الذي يتناسب مع الحاضر، وذلك بحضور عقل عربي واعٍ ناقد لمختلف السلطات المتحكمة في تكوينه. (الجابري، 1994، صفحة 205) كما يُرْجع الجابري السبب الرئيسي من تأخر المسلمين هو ركود العقل، وتبنيه للمعتقدات والموروثات القديمة، الذي عاد عليه بالتراجع في الوقت الذي كان عليه البحث عن سبل التطور، فهذا ما جعل العالم العربي والإسلامي في رأي الجابري متأخرا، حيث يقول: **"إن المسلمين بدأوا يتأخرون حينما بدأ العقل عندهم يقدم استقالته، حينما بدأوا يلتمسون المشروعية الدينية لهذه الاستقالة ... فبعضها يرجع إلى الموروث القديم، وبعضها يرجع إلى الموروث الإسلامي."** (الجابري، 2009، صفحة 347) إن العقل العربي قد وجد مفاهيم الحقل المعرفي البرهاني وكثيرا من مفاهيم الحقل المعرفي العرفاني جاهزة محددة، ولم يبتكرها ابتكارا وإما نقلها عبر الترجمة إلى فضائه الفكري.

لكن عملية النقل في البداية مع المفكرين الأوائل لم تكن مجرد ترجمة قاموسيه بل كانت نتيجة بحث متواصل وجهود فكرية عميقة، هذا ما جعلها تتميز عن النطاق المعرفي اليوم الذي أصبح مجرد عرض للمعاني والمفاهيم. يذهب الجابري هنا إلى توضيحه إن العرب في القديم قد تقدموا من خلال مجهوداتهم التي ساعدتهم على ذلك، غير إن هذا التقدم انتهى والعرب اليوم في حاجة إلى نهضة جديدة من أجل التطور.

خلافا للعمري وطه عبد الرحمن تبين للجابري من خلال تقييمه للعقل العربي الإسلامي أنه مرا بمطافين: الأول كان من عصر التدوين إلى غاية الغزالي، وتميز بالحدقة الفكرية التي جعلته عقلا فعالا في وقته، أما العقل اليوم أو كما وضح الجابري بعد فترة الغزالي عرف تراجعا جعلت منه مجرد آلة لعرض المفاهيم، **حيث يقول: "إن العقل العربي كان خلال المرحلة التي تمتد من بدايات عصر التدوين الى لحظة الغزالي عقلا فاعلا... أما بعد لحظة الغزالي التي ابتدأ معها ما أسميناه التداخل التلفيقي بين النظم المعرفية ومفاهيمها."** (الجابري، 2009، صفحة 509) لقد أصبح العقل في نظر الجابري مع المتأخرين في حالة انهيار لا يبني فكرا ولا يؤطر رؤية، فتقلصت قدراته في حفظ الأقوال التي قيلت فيها أو بصددها ويستظهر ها عن ظهر قلب في مختلف الميادين فانعكس هذا الجمود العقلي على واقع المجتمع العربي الإسلامي الذي يتبنى كل ما يصدر اليه، سواء كان نافعا أم ضارا فغاص في التقليد، واتباع الغرب بعد صَدْمته من التطور الذي حققته الدول الغربية دون إدراك الخطر الناتج عنه. **يقول الجابري: "عقل قابل لأن يكون مَسْرَحًا تتعايش فيه المتناقضات والمتنافرات وكأنها تعكس أو تقرر وضعا طبيعيا تماما. إن عقلا كهذا عقل ميت، أو هو بالميت أشبه، لأنه يفتقد السلطة التي تجعل منه عقلا حيا، السلطة التي بها يفرض النظام على نفسه وعلى العالم."** (الجابري، 2009، صفحة 511)

هذا الحال الذي وصل إليه العالم العربي الإسلامي إزاء الجمود العقلي وظهور ما يسمى بالعصر الانحطاط ولدّ لدى الجابري دافعا قويا من أجل التغيير، وذلك من خلال بناء مشروع ثقافي عربي إسلامي بديل، يعيد من خلاله إحياء العقل العربي وربطه بالتطور من جهة وإحياء هويته الإسلامية من جهة أخرى، التي ابتعد عنها كما وضحنا سالفا. (الجابري، 2009، صفحة 511) فأكد على ضرورة تدشين عصر تدوين جديد تكون نقطة البداية فيه نقد العقل العربي. بمعنى أن الجابري يرى أن البداية تكون من خلال النقد الموضوعي لكل ما انتجه العقل العربي من أجل تأسيس لبداية جديدة، والتخلص من هذه السلطة التي استمرت إلى غاية العصر الحديث والمعاصر. **إذ يقول: "هذا النقد يجب أن يستمر ويجب أن يتجدد."** (الجابري، 2009، صفحة 566) **ويقول أيضا:" البنية المحصلة من النظم المعرفية التي أسست وتوزعت الثقافة العربية منذ عصر التدوين والتي مازالت تؤسس لعقل العربي الحديث والمعاصر... فكيف السبيل إلى التحرر من قيود هذه الشبكة كيف نحرر عقلنا من سلطة اللفظ وسلطة الأصل، سلطة**

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

السلف وسلطة القياس وسلطة التجويز كيف نجعل العقل العربي عقلا مستقلا بنفسه يختار سلطانه." (الجابري، 2009، صفحة 567)

يرى الجابري أن التجديد العقلي يكون عبر دراسة إبستمولوجيا للتراث، لأن كل بداية جديدة بالنسبة له مرجعية سابقة انطلقت منها. ومنه فالتجديد العقلي عنده ينطلق من نقد البنى التي يتكون منها العقل العربي، وإعادة تأسيسها بطرح جديد من أجل إحياء الفكر العربي من جديد. وعليه يمكن الإشارة إلى أن العقل العربي عند الجابري يتشكل من ثلاثة حقول معرفية تنتج في تفاعلها معا بنية العقل العربي، وتتمثل في **البيان، والعرفان، والبرهان**، وقد وضع لها تعريفات تتمثل في (غضيب، صفحة 263.264):

. **البيان:** هو عَالَمُ المعرفة الذي تبنيه العلوم العربية الإسلامية الخالصة، علوم اللغة وعلوم الدين. فموضوعه الأساسي هو الخطاب القرآني، هدفه وضع المبادئ الأساسية لتفسير الخطاب الديني واستنباط أحكام وقواعد عقلية لتأسيس مضمونه تأسيسا عقليا، ويرتكز العقل البياني الى ثلاثة أزواج معرفية هي: اللفظ والمعنى والاصل والفرع كذلك الجوهر والعرض.

. **اما العِرْفان:** فإن موضوعه الأساسي هو الله وعالم الغيب، وهدفه الوصول إلى وعي مباشر لهذا العالم، هو مرتَبِطٌ بالنص الديني، يتركز إلى زوجين معرفيين هما: الظاهر والباطن، إضافة إلى الولاية والنبوة.

. **اما البرهان:** عبارة عن الحقول المعرفية الفلسفية المنحدرة إلى الثقافة العربية عبر الترجمة، فهو مختلف عن كل من البيان والعرفان، ويرى الجابري أن البرهان في شكله العربي الإسلامي ارتكز إلى زوجين معرفيين هما الألفاظ والمعقولات، كذلك الواجب والممكن.

بعد توضيح الجابري لكل من بنية العقل الإسلامي التي تأسس عليها منذ عصر التدوين والمتمثلة كما وضحنا سالفا في: البيان والعرفان والبرهان يذهب إلى أن نقد هذه البنى هو السبيل إلى تحقيق نهضة إسلامية عربية، وذلك بالتحرر من مبادئ هذه البنى خاصة البيان والعرفان الذي يَعْتَمِدُها كل من العمري وطه عبد الرحمان كمبدأين أساسين لهما. في حين الجابري يتمسك بالبرهان الذي يقوم على الفلسفة وقد وضح هذا في قوله:**" إمَّا أن نترك هذا التراث جانبا وننكب على فعل العصر وفلسفته وعلومه وحينئذ سنتحرر من سلطات الماضي، الإبستمولوجيا وغيرها، وإمَّا أن نبقى سجناء هذه السلطات وفي هذه الحالة لن يكون بإمكاننا قط تحقيق ما نَنْشُدُه من معاصرة وتحديث ولحاق بالركب العالمي."** (الجابري، 2009، صفحة 568) فلا سبيل إذا للتجديد عند الجابري في ضوء الحديث عن عقل عربي داخل التراث نفسه، وبوسائله الخاصة، وإمكانياته الذاتية، بل يجب الاستعانة بوسائل معاصرة ومنهجيات معرفية جديدة. فالعقل البرهاني عند الجابري هو الأنسب في تحقيق النهضة من جديد، وذلك من خلال التخلي عن

الموروث الإسلامي واخضاعه إلى النقد الإبستمولوجيا، وهنا يتجلى الاختلاف بوضوح بين المفكرين الثلاثة، فكل من العمري وطه عبد الرحمن ينطلقان من التراث الإسلامي بقراءة جديدة معاصرة موافقة للدين الإسلامي كما وضحنا سلفا، في حين يرى الجابري أن التجديد يجب أن يكون خارج التراث، وذلك من خلال طرح البديل الغربي المتمثل في البرهان الفلسفي.

إذن كل من عبد الغني العمري الحسني وطه عبد الرحمن يرفضان الطرح الغربي، ويعملان على تأسيس نهضة إسلامية عربية من داخل الدين الإسلامي، وليس بالتقليد الغربي كما اتجه بعض المفكرين كعابد الجابري الذي لم يكن نقده عربيا أو إسلاميا بل كان نقدا غربيا من الناحية المنهجية والفكرية؛ لأن المناهج المعتمدة غربية في الغالب كفيلولوجيا والهرْمنُوطيقا وغيرهما. (الحسني، 2018) إذن يذهب كل من العمري وطه عبد الرحمن إلى أن العقل خادم للدين ولا يخالفه، والأمة الإسلامية العربية اليوم ليس لها إلا الدين ليخرجها من التيهان الذي سيطر على حاضرها، ولن يحصل هذا إلا من خلال معرفة مكانة العقل وحدوده وعلاقته بالدين، فإن أدرك الإنسان هذه الحقيقة استطاع أن يحيي نفسه من جديد فيكون متوازنا بين العالم الدنيوي والغيبي، يقول العمري:**" إن العقل إن كان سليما، فحاله مع الدين تكون القبول... لا يعني أن الدين غير عقلاني، لأن العقل يعقل داخل الدين ما يجده."** (الحسني، 2018)

كما يقول طه عبد الرحمن:**" إن التعقل المبني على التجربة الإيمانية يمدها بأسباب في الفكر توليدا وترتيبا."** (الرحمن، 1997، صفحة 10)

خاتمة عامة:

نخلص في الأخير مع كل من العمري وطه عبد الرحمن إلى أن الأمة العربية والإسلامية ترتقي بالإسلام وأن الدين دعا إلى إعمال العقل وجعله خاصية يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، حيث يكون العقل خادما للدين، خلافا لما تطرحه الحداثة الغربية التي سيدت العقل المجرد فانساق المسلم وراء هذا التيار الغربي مما أحدث أزمة إسلامية لدى الإنسان المسلم المعاصر، وذلك بابتعاده عن مبادئ الدين فأصبح لا عقل له.

هذا ما دفع العديدَ من المفكرين إلى الخوض في قضية العقل وتبيان دوره الأساسي، فكان لكل من عبد الغني العمري، وطه عبد رحمان، والجابري، موقفا من هذا العقل ودوره في إحياء الأمة العربية والإسلامية.

لقد اتفق كل من العمري وطه عبد الرحمن على أن العقل خادم للدين، ولا يجب أن يبقى سجين العقل المجرد فقط، لذا حددا مراتب للعقل ينتقل فيها من مرحلة إلى أخرى من خلال معرفة خالقه والترقي في عبادته لأجل بلوغ الكمال، حتى وإن اختلفا في تسمية هذه المراتب فاتفاقهما كان على حقيقة واحدة وهي أن الدور الأساسي للعقل هو معرفة الحقيقة الدينية

والكشف عنها من أجل النهوض من جديد وفق مرجعية تداولية إسلامية، قائمة من داخل الحاضرة الإسلامية على خلافا لما ذهب اليه الجابري باعتماده العقل البرهاني الفلسفي الغربي، الذي هو مرجعية خارجة عن السياق الإسلامي.

وعليه نَصِلُ إلى أن دور العقل هو معرفة الإنسان ومعرفة خالقه، وذلك عبر تدرجه في المراتب والانتقال من مرحلة إلى أخرى حتى يبلغ الكمال، هنا يتوضح المعنى الحقيقي للعقل لا كما عرفناه مع الطرح الحداثي في خدمة المصالح الدنيوية فقط.

**

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- أبي بكر الرازي. (1978). *عبد اللطيف العبد*. مكتبة النهظة المصرية.
- حَمو النقاري. (2016). *منطق تدبير الإختلاف من خلال أعمال طه عبد الرحمن*. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- طه عبد الرحمن. (1997). *العمل الديني وتجديد العقل*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمن. (2009). *سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمن. (2013). *الحوار أفقا للفكر*. لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر .
- طه عبد الرحمن. (2017). *دين الحياء من الفقه الائتماري الى الفقه الائتماني، أصول النظر الائتماني*. بيروت: المؤسسة العربية للفكر والابداع.
- عبد الغني العمري الحسني. (2010). *مراتب العقل والدين*. لبنان: دار الانتشار العربي.
- قدري حافظ طوفان. (1998). *مقام العقل عند العرب*. بيروت: دار القدس.
- مجمد الشيخ. (2011). *محمد عابد الجابري، مسارات مفكر عربي*. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- محمد أحمد الصغير علي عيد. (2015). *عقلانية الحداثة المؤيدة، استقراءات في تفكيك اعمال طه عبد الرحمن*. الأردن: الحديث للنشر والتوزيع.
- محمد عابد الجابري. (1994). *الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد عابد الجابري. (2009). *بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد عابد الجابري. (2009). *تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي*. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- هشاب غضيب. (بلا تاريخ). *هل هناك عقل عربي، قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري*. الأردن: دار التنوير.
- **المقالات:**

- عبد الغني العمري الحسني. (13 1, 2018). *العقل العربي ومآلاته، العقل زمن العباسين، 10*. تم الاسترداد من العمرية لتجديد الصوفي، مقالات: http://www.alomariya.org
- عبد الغني العمري الحسني. (9 3, 2018). *العقل العربي ومآلاته، الفكر والكفر، 18*. تم الاسترداد من العمرية لتجديد الصوفي، مقالات.
- عبد الغني العمري الحسني. (8 6, 2018). *العقل العربي ومآلاته، حماية العقل، 30*. تم الاسترداد من العمرية لتجديد الصوفي: http://www.alomariya.org
- عبد الغني العمري الحسني. (4 5, 2018). *العقل العربي ومآلته، العقلانية الزائفة، 26*. تم الاسترداد من العمرية لتجديد الصوفي، مقالات: http://www.alomariya.org